

قوميات وأديبات واجتماعيات ووجدانيات وشخصيات واندعات ،
لأدلى على اللين العقلي ، والعجز الذهني ، وهجس الخاطر ، والمياعة
السمجة ، والوطنية المريضة ، والحس المتحجر ، والشعور الميت ،
أود ذلك ولكن ليس من شأن الناقد أن يجلد بالمؤلف وجه
الأرض بل عليه أن ينصح القراء — لوجه الألب — بأن
كتاب « ما قل ودل » يصلح أن يلقي في سلة المهملات لا أن
يكون في مكاتب القارئات والقراء ، وأخيراً كنت أود أن
يبعث الناقد معي عن شخصية المؤلف وعن طابعه وأسلوبه لأني
حاولت عبثاً العثور عليها في كتابه الميت
عسى أن يتدبر الصاوي الحقيقة إذا كان من طلاب الحياة الأدبية
وليت انطون بك الجميل يقدر الصراحة ويهمل الغمز الخاطف

طابع أدباء السبوع

محمد مصطفى وهبيل - عبر الله عنانه - صنفى عبون

ان القصد الذي قدمناه في كتابة هذه النصول ، والغاية
التي صبونا إليها هي الاستعراض والمقارنة والموازنة ، بها نستدل
على طابع أدباء الجيل الجديد ممن يحملون رسالة الألب ، ومنها

نتعرف إلى المسؤولية الأدبية التي نهض بها أبناء الجيل الآخر ممن يتسمون بأدباء الشيوخ، وقد انجلى الأمر بعد تبسطنا في دراسة أدباء الشباب وتحليل مقدمات كتبهم وعرض نماذج منها على أن النضج والاتزان والتويد — وهي أولى خصائص الأديب — لم تبد طلائعها ولم تظهر بواكيرها إلا عند أفراد قلائل منهم وإن صفات الإفراط في المغالاة، والاغراق في الديدح والاطناب في الوصف والتضليل في التقدير، واصطناع المقاييس غير المضبوطة وتعتمد الهيمنة والتغريروانتفاخ الأوداج بالغرور إنما هي الخلل المهائلة التي يتسربلونها والطيلسانات البالية التي يتيهون عجباً بلبسها والقصبات المرضوضة التي يحسبونها صوابية في أيديهم يهشون بها على رعية الأدب!

هذه حقائق صارحنا أدباء الشباب بها فرضي عنها من رضي من العقلاء، وغضب منها ونقم علينا من غضب من الحقى والجهلاء وحسب الأديب مرضاة لضميره إن يتجه ناحية الحق والنزاهة والاخلاص للأدب وليس عليه أن يرضي جميع الأدباء — وإن كانوا أصدقاء — على حساب الأدب

نتنقل الآن إلى الطائفة الثانية التي تواضع الشباب على تسمية رجالها بالشيوخ بادئين بالذككتور محمد حسين هيكل

بك وهو كاتب مقدمات كتب « قضايا التاريخ الكبرى ، وديوان التحقيق ، ورسوم العريان »

لم تختار هذه المقدمات الثلاث اختياراً ولم نتعمل الانتخاب من كثير ما كتب من مقدمات ودراسات أدبية وبيوغرافية إنما هي الصدفة الموقفة ساقتها إلينا عفواً لتهدينا إلى الناحية الواحدة من مكانة الأديب الأصيل الذي ينظر إلى متون الأشياء وأصلابها ولا يتأثر بهوامشها وإطاراتها ولا ينساق مع تيارات الشباب ونزوات التهافت على الشهرة والتكالب على ذبوع الصيت ، بل يتجرد للأدب نفسه كما يتجرد الصوفي من ذاتيته والناسك من دنياه للاندماج في الروح الأعلى والجوهر الأسمى كتب الدكتور هيكل مقدمتين الواحدة لكتاب « قضايا التاريخ الكبرى » والثانية لكتاب « أشهر المحاكمات والجرائم » لجامعهما الأستاذ محمد عبد الله عنان المحامي تكاد أن تكونا مقدمة واحدة تناول فيها « الجريمة » التي هي أقدم شيء في الوجود والأساس الذي قامت عليه الحياة من بدء ظهورها فدلل على أنها المظهر الأدنى لقانون تنازع البقاء وبقاء الأصلح مستشهداً بالرجل الذي يفتك بجاره ويسلبه متاعه أو زوجته مندفعاً إلى ذلك كما يندفع أي حيوان ضار يريد أن يدفع عن نفسه غائلة الجوع أو يرضي فيها سليله بقاء النوع وإن أنواعاً منظمة من

الفتك والاعتداء لا تزال نظاماً لحياة الانسان وان تاريخ
الانسانية في علاقة الناس بعضهم ببعض افراداً أو امماً انما هو
تاريخ «الجريمة» وان جرائم القتل والسلب الفردي تطورت فصارت
قتلا وسلباً منظماً تشترك فيها الجماعات والامم التي تواضعت على
تسميتها «الحرب» وأسدت عليها دثار القانون تمويهاً وتضليلاً
وان الامم المحرومة مجد الجريمة انما هي امم لا تاريخ لها

ليست الجريمة في ذاتها من دوافع حيوانية الانسان
الموروثة وان علوم الانسان وتهذبه وتمدنه وثقافته العصرية انما
هي صقل وشحن لسلاح الجريمة التي تمكن طبقة حاكمة تضطرب
فيها شهواتها المنحطة المدنسة بارجاس التعصب والطفيان والجشع
والسلطان والمال، من طبقات محكومة مغاظة الازهان مغمضة العيون
مطعمة بميكروب القناعة والاكتفاء، ملقحة «بأفيون» الاستسلام
للاقدار والخضوع الحيواني للامر الواقع؟ ليست الجريمة فخاً
ينصبه الطاغية الشرير للوديع المسالم؟ ليست الجريمة مرآة تنعكس
عليها صور نفوس الاشرار والوادعين يراها كلا الفريقين فيمعن
الاولون في حيوانيتهم. ولا بد أن يأتي يوم ينتبه فيه الآخرون الى
ضرورة العودة الى الشراسة الحيوانية وضراوتها لتتوازن، على
مر الاجيال وكر العصور وتطور الانواع، قوة الشر الاصلية عند
الطغاة بقوة الشر المكتسبة من التفاعل عند المسلمين، ألا يعمل

المصلحون على اجتثاث اصول الشر في نفس الانسان وانتزاع
انبواعث الاجتماعية التي تهيج طبائع الجريمة المتأصلة فيه وليغرسوا
بدلا منها غرسات المحبة الانسانية والاشترك في الخير العام ؟
لقد شغلت « الجناية » أذهان الناس جميعاً واستهوت لبهم
وحفزت فضولهم فصار لزاماً على الرجل اللبيب ان يدون أخبارها
ويورد حوادثها فكان منه المؤرخ الذي تطور مع الزمن ومع
ملا بسات الجرائم الكبرى فصار يسبغ عليها انواعاً من المفاجآت
تحفز الفضول وتندبى الوله في تتبع نوادرها واخبارها « وتجيش في
فؤاد كل انسان يود لو يحققها له القدر » وصار يعنى تارة بدرس
طبائع عظماء المجرمين وبحث موضوعات جرائمهم التي كانت
تتحكم في توجيه نظام الدولة وجهة خاصة وتارة في انهاض علم
النفس الذي له اكبر الاثر في التقدم الانساني خصوصاً في العلم
الجنائي والتشريع الجنائي ودرس ما انطبعت عليه فطرة المجرمين
بطابع الجريمة منذ ولادتهم ومنذ تلوثوا بجرائم الجريمة تحت تأثير
البيئة

نعم لقد تم كل ذلك « المؤرخ » الذي لم يعد مؤرخاً بالمعنى
الذال على التاريخ بل أصبح مدوناً وفيلسوفاً وعالماً وأديباً وفناناً
وشاعراً واجتماعياً واقتصادياً وقصصياً ونقاداً ومحللاً يمدح أو
يقدح، يزكي أو يجرّح، يحلل أو يحرم، يشيد أو يحط من أقدار

الاقوياء او الضعفاء، الجبارين أو الوادعين، الخادمين او المخدومين وفقاً لرغباته وميوله وتبعاً لنزغات الشهوة واتجاهات النفس وكذلك صار منه من « يعتبر الانسان الظافر في جهاده الحيواني صاحب حق ثم يزيد حقه بعد ظفره على حق الحيوان ان يجد من الحق ومنطقه ومن الذكاء وحيله ما يدعم حق هذا الظفر بالشعر البديع تتغنى به الاجيال المتعاقبة وبالشرائع الثابتة يزعم واضعوها انها اقيمت على أساس من الحق ومن العدل المجرد من كل هوى وصار منهم من يدعو علانية الى بتر الانسان الضعيف كأنه عضو مشلول في جسم الهيئة الاجتماعية بدلا من مداواته وتطبيبه

على هذا النمط البارع من التعمق في الدرس والتحليل والاستقراء والتخريج يمضي القاريء في تلاوة صور من صور استعلاء الجانب الحيواني المقترس في الانسان على جانب البصيرة المضيء منه في المقدمة الالامعة التي كتبها الدكتور هيكل خصوصا ما يتعلق باستعلاء التعصب الديني على التسامح عند رجال الدين الذين سخروا الدين والعقيدة والكتب المقدسة لأغراضهم وباستعلاء الجانب المستبد عند الملوك الذين لا يرضون الى جانبهم من يزارعهم ملاسكهم ولو كان الى جانبهم اخوة لهم أو أبناء وكيف يسخرون التشريع والقانون والقضاء ليجمعوا من اسمها وسيلة للقضاء على من يخافونه، وهكذا يمضي في التدليل ويعن في

الاستشهاد على روح « الجريمة » وعلى الجرائم الكبرى التي وقعت في العصور الخوالي وقد يقع مثلها في الأمم التي لم تتمتع بعد بنعمة الحرية ولم تقم باعباء المسؤوليات الاجتماعية وينهض الحجة على « أن الثورات في الأمم — وهي إحدى علامات اليقظة الروحية — كالحريق في بيت كبير فاخر الرياش زئين الجوهر والنشائس ، ما تكاد النار تتسع في هذا البيت دائرتها حتى ترى متطوعين من كل جانب يقدون إليه بدعوى اطفائها ثم لا يحول ذلك دون الواحد منهم واستلاب ما اتصل إليه يده من كنوز البيت ونفائسه » ويأتي بالاداة مقتطفة من كتاب الاستاذ عنان يدعم بها الدعوة الى تنفير النفس الانسانية من فظائع الجرائم الوحشية التي ما برح الانسان يجترمها بأساليب عدة غير ناس ما على كاتب المقدمة من واجب النقد فيقول في المؤلف « واذا كانت سرعة الانتاج قد جنت في بعض الاحايين على أسلوب التحرير أو نظام الفكرة فذلك لم يكن قط في الكتب الاساسية التي اقتطع لها من وقته ما يستحق لتكون لاسية خير ثوب يود أن يخلعه عليها من الكمال » أو قوله « وان كان لناقد أن يؤاخذ بان اكثر ما تعرض له في كتابيه قد سبق لغيره من كتاب الغرب أن تعرض له أخ .. » كذلك لم ينس التقرير بقوله « على أن الاستاذ عنان كان في آرائه التي أبداهها في القضايا والاحكام

متبداً كل التؤدة مراعيًا هذه الظروف الدقيقة التي تحيط بالتاريخ،
والمؤرخ محتاطا لا يجازب ملكا أو خصما لملك مدققا في بيان ما للملك
وما لخصمه وما على الملك وما على خصمه وهذه الدقة التي راعاها
الاستاذ عنان في آرائه هي بعينها الدقة التي توخاها في سرد
تاريخ «ديوان التحقيق والمحاکمات الكبرى»

فانت ترى من هذه الخلاصة الوافرة لمقدمة الدكتور هيكل
ما يدلك على انه عنى بموضوع الكتاب اضعاف ما عنى بشخص
المؤلف. لا لأن شخصيته وطابعه غير جذابين وغير قمينين بالعناية بل
لان الروح الذي يستفيض في موضوع الكتاب هو جزء كبير من
طابع وشخصية مؤلفه . وان كتاب المقدمات لا يعالجون شخصية
المؤلف او طابعه إلا اذا كان روح الكتاب هزيلًا وموضوعه تافها
واليك الدليل

كتب الدكتور هيكل مقدمة لكتاب «برسوم العريان»
استهلها بقوله «الصحفي العجوز في غير حاجة الى تقديم . وحسبه
انه صحفي وانه عجوز ليعرفه كل قاري» ، فاذا كانت سنة وكانت
ظروف حياته قد طوعتا له ان يعاون الشيخ يوسف الخازن في جريدة
الاخبار القديمة ، جريدة الاخبار السابقة على «اخبار» امين الرافعي
والسابقة على الحرب ، وكان قد عمل قبل ذلك وبعده في مجلات
وصحف مختلفة انتهت به الى «هامش الاهرام» فليس من حقي

ولم تصادفني هذه الظروف . واكاد احسب بعضها من قديم التاريخ
ان ازعم القدرة على تقديم «توفيق حبيب» الى قرائه باكثر مما
قدمته الصحف التي عمل فيها والسنوات التي تقلبت عليه .
وليس من حقي ان ازعم القدرة على تقديمه وميدانه في الحياة
الادبية يختلف—وبخاصة في صحف هذا الكتاب الذي بين يدي
القاريء— عن كل ما عالجت انا من شؤون وحاولت ان اجعله
في الحياة الادبية ميداني الخ الخ...»

أرأيت كيف اجتذب موضوع كتابي «قضايا التاريخ الكبرى
واديوان التحقيق» روح الاستاذ الدكتور هيكل فاهمه كتابة اثلاً
وعشرين صفحة من القطع الكبير في الدرس النفيس والتحليل الدقيق
في فلسفة الجريمة . وكيف قعد به كتاب «رسوم العريان» عن كتابة
سطور قليلة في صلب الموضوع فراح يتحايل على التخلص منه الى
كتابة كلمات في شخصية المؤلف لا تعلي من قدره أو تحط في قيمته
بمقدار «بوصة» واحدة بل تبفية حيث عرفه القراء قبل عشرات
طوال من السنين لم يتقدم خطوة الى الامام ولم يرتفع قيراطا الى
العلو ! هل سمعت من الدكتور هيكل اسرافا في القول أو افراطا
في الوصف أو مغالاة في التقدير أو تقريراً في تحديد المواهب او
اضفاء نعوت والقاب وصفات على المؤلفين عبدالله عنان وتوفيق حبيب؟
لا ، لاشيء من ذلك البتة . وحاشا لأديب ناضج متزن ان

يشط الا اذا دعتة ظروف خاصة الي ركوب الشطط فان فعل فاما
الذي يفعل هي الناحية المريضة في عقد نفسه

الدكتور طه حسين — الدكتور فريد رفاعي

لست أدري لماذا أشعر وأنا أحاول كتابة هذه السطور
بالحاجة الي تناول شخصية الدكتور طه حسين بالدرس والتحليل
واستجلاء بعض نواحيها مع أن غرضي لا يتجاوز حدود التعرض
لطابعه الشخصي ، كاديب من ادباء الشيوخ عن طريقة
كتابة المقدمات ؟

حقاً لا أعرف سبباً لهذا المثل الميل للملح في حين أن لكبار
الادباء فضلاً عن كبار الاساتذة هيبة و سطوة ترهبان المرء وتضلانه
كما تضل بهرة الشمس الابرص وتفقد هداد ، فما بال نفسي تدفعني
الي التحكك بأستاذ طبقت شهرته الاقطار التي يتكلم اهلها
العربية وذاع صيته في بعض الأوساط الغربية ، ما بالها لا تحسب
حساباً لقوة « الاستاذ » العظيمة وللقوات التي حوله من الانصار ،
والمحاسيب ؟

مالي أحاول الطواف حوله كما يطوف المجوسي حول النار
وهل هنالك صلة بين الاندفاع الذاتي وملكسة الدكتور طه

المنسية تدفعني إلى الكلام عنه كما تدفع به دائماً إلى الكلام
عن نفسه في كل المناسبات والظروف وفي مناسبات كتابة
مقدمات الكتب أيضاً

هب اني طاوعت هوى النفس ومضيت أسايرها في الشهوة
التي قد لا احمدها عليها ، أفلا أكون مأخوذاً على رغبم مني
كالمستهوى ومسوقاً إلى الكلام عن الدكتور بدافع وبتأثير
من نفسيته ؟

أمر التجاوب النفسي معلوم عند عارفي علم النفس ، ألا تراني
أحاول الكلام عن شخصيته بفعل من هذا التجاوب المعدي
والذي لا أجد لذاتي محيصاً عنه أو مهرباً منه ؟

من طبيعة الدكتور طه الدوران حول نفسه كمولوي يتدرب
على الادكار لوحدته منفرداً عن جماعته الذين يدورون ويلفون
دورات ولفات موزونة وموقعة على أنغام الناي والكنججة ،
فما لي أنا أدور معه ولست بمولوي ولا من مدمني الادكار ؟ هل
جاذبيته القوية تضطرنني إلى اللف معه والدوران حوله وأنا في
غنى عن ذلك مادمت أجابه الحقائق ولا أخشاها ولا أرتاع منها
يخيل اليّ أنني لست المرغم الوحيد على اللف معه ، ولا
المسكين الفرد بين قرائه المحكوم عليه بالدوران حوله لأنه لا بد
لمن يقترب منه أن يلف ويدور حتى يأخذه الدوار فيقع مغشياً

عليه ، أما الدكتور طه فيبقى يدور ويكتب ويتحدث ويألف ويحاضر ويكتب مقدمات الكتب وهو يألف ويدور أيضاً !!
اسمع الآن وانظر كيف يكون ذلك ؟ كتب الدكتور طه مقدمة لكتاب «الشخصيات البارزة التاريخية» لمؤلفه الدكتور احمد فريد رفاعي استهلها بالدورة التالية

«أيهما يفري بصاحبه ويسعى اليه ويلج عليه حتى يضطره الى اطالة الوقوف عنده وانعام العناية به والتفكير فيه أهو الموضوع الادبي ام هو الاديب ؟ وبعبارة واضحة جلية قريبة الى التعيين والتخصيص ، ايهما سعى الى صاحبه واغرى به أهو موضوع هذا الكتاب قد سعى الى المؤلف ومازال يلم به اذا اصبح ويطرقة اذا امسى حتى اضطره الى ان ينظر فيه ثم يدرسه ثم يتمثله ثم يتخذه موضوعا لهذا الكتاب ام هو المؤلف قد بحث وفتش والتمس وتعب واخذ يسأل الكتب والاسفار ويستشير الحوادث والخطوب عن موضوع ينفق في تصوره ثم تصويره فضل ما عنده من قوة ونشاط ووقت وفراغ بال . الق على المؤلف نفسه هذا السؤال فلن تظفر منه بجواب لانه لا يعرف اطرق الموضوع أم طرقه الموضوع (كذا) واكبر الظن ان كلا من الكاتب والكتاب قد سعى الى صاحبه وابتغى اليه الوسيلة والتمس اليه الاسباب (كذا)

« اما صديقنا فريد فليس من شك في أنه قد سعى الى موضوعه

سعيًا وعدا إليه عدوا (كذا) وما زال هو يسعى إلى موضوعه
وموضوعه يسعى إليه حتى التقيا فتعارفا !! ثم ائتلفا ثم امتزجا ثم نشأ
من امتزاجهما هذا السفر الصغير الممتع الذي يسرني أن أقدمه إلى
القراء »

هوذا نموذج واحد من لف الدكتور طه حول موضوعه
واسمع الآن وانظر النموذج الثاني من دورانه حول المؤلف
قال « وصديقنا فريد كما عرفته أكثر من عشرين عاما طلمعة كثير
البحث والتنقيب شغوف بالقراءة » وراح يسرد أخبار صديقه
وتحايته على اكتساب الوقت ليقرأ أسماء وأنواع الكتب التي كان
يفضل قراءتها عن سواها من المؤلفات ومن تعلقه بسير عظماء الرجال
من غربيين وشرقيين وإلى الفرجة التي باعدت بين الدكتورين
وإلى عودة الدكتور طه من أوروبا ولقياء صديقه الدكتور فريد
حيث تركه مشغولاً بقراءة ما يكتب عن حياة العظماء فيقول فيه
« يقرأ ذلك ويتحدث به ويطيل الحديث حتى ينخيل إلى الذين
يلقونه ويسمعون له إما قاص يتنقل بالقصص أو مؤرخ يتنقل
بالتواريخ وكان الطريف من أمره أنه لم يكن يخلص للقصص
والتاريخ وإنما كان يبدأ بالحديث في قصة أو نبأ من الأنباء ثم
لا يلبث أن يستطرد منه إلى ما يقع في حياتنا من الأحداث
والخطوب فيقارن ويوازن ويلتمس أوجه ما بين ما يروي وما

يرى ثم يعود إلى قصته أو نبأه ثم ينتقل منها إلى أخرى أو نبأ
آخر ثم يعود إلى ما نحن فيه من حياة ثم يتركك وقد عانك
وأضناك وأثار في رأسك شيئاً يشبه الدوار لكثرة مدار بك في
سرعة مدهشة بين الماضي والحاضر والمستقبل ولكثرة ما روى
لك من الأحداث واستخرج لك من العبر واستنبط لك من
فنون التشبيه بين ما كان وما هو كائن وما لا بد أن يكون »

أنت ترى في هذا الكلام وصفا صادقا صحيحاً لطابع
الدكتور فريد رفاعي وتحليلاً موفقاً لشخصيته وتجد في ذات
الوقت نبواً صارخاً وعوجاً لا يستقيم مع ما استعمله من الكلام
فيه ووصفه إياه أنه يسمى إلى موضوعه سعيًا ويعدو إليه عدواً
ويعتزج به امتزاجاً فأين هذا الامتزاج امتزاج الموضوع بالكتاب
والكتاب بالموضوع من هذه البعثرة والتنافر والتمزيق التي
يقررها الدكتور طه ؟ أأست تجد في ذلك لفاً وزوغاناً عن قول
الحق غير خليقين بأستاذ كالدكتور طه مفروض فيه تقرير
الاحكام الادبية كأنها نظريات علمية ؟ نعم أن ذلك ليس
بمفروض فيه فحسب بل هو واجب عليه وجوباً لا انحراف فيه
البتة ، لا لأن طلاب الجامعة يتأثرون بأحكام عميدهم ، بل لأن
طائفة كبيرة من القراء في مصر وفي الأقطار العربية تتأثر بأقواله
حتى ما كان منها لغواً « كلفو صيف » وتعتمد بها على اعتبار أنها

صادرة من أستاذ يحترم نفسه ويزن أقواله ويقف مناخا عنها منحيا
كل لبس أو شبهة أو شك يقترب منها لتظل خالصة من العيب
منزهة عن الغرض لائقة بكرامة عميد كلية الآداب في الجامعة
المصرية .

ومن غريب امر الدكتور طه وزوغانه وتأرجحه بين الباطل
والحق قوله في الدكتور فريد مخاطبا القاري، «ولكنك تخطيء
ان التمتت عند صاحبنا بحثا موضوعيا عن هؤلاء الاشخاص
الذين يكتب فيهم او يتحدث عنهم فصاحبنا مفرق أشد الاغراق
فيما يسمونه الانشاء الذاتي» فاین هذا الكلام من قوله « فأنت
ترى الشخصية البارزة ولكنك ترى فيها فريدا وانت ترى فريدا
ولكنك ترى فيه شخصية بارزة في هذه الشخصيات» فهل يفهم من
كلام الدكتور طه ان لا فارق البتة بين الدكتور احمد فريد
رفاعي وبين الشخصيات التي درسها وحللها وكتب كتابه عنها؟
أو ان الامتزاج مختلط بين شخصية الدكتور رفاعي وعمر بن الخطاب
وأبي بكر الصديق وادوار بوك و ابراهام لنكولن وهنري فورد
وبوكر ووشنجتون وبسارك وان لا فرق بينهما البتة؟ والله لا أدري
معنى لهذا التلاعب الذي ياباه ويتحاشاه كاتب عادي صناعته ملء
اعمدة في جريدة سيارة لا تحترم ذاتها ولا تقيم وزنا لشعور قرائها
ولا أفهم هذا التخليط ولا كيف قاله الدكتور العميد

ولا اذا كان يعتمد الهزء بالقراء أو العبث والمجبون أو امتحان
امزجة الناس !!

في مقدمة كتاب «الشخصيات البارزة» ضروب شتى من
امثال هذه المتناقضات والمفاجآت والمفارقات الادبية التي تنضمها
شخصية الدكتور طه العجيبية نضجا عجيبا ولعل أغرب المفارقات
بل النكات المستملحة التي جعلها الدكتور طه «نكتة» الفصل
دعوته الحارة الى القراء «واها بته بهم الى اقتناء الكتاب» وقوله لهم
«واتي لوائح أشد الوثوق بان هذا الكتاب سيكون بين الكتب
القليلة جدا التي ظهرت في هذه الايام فظفرت برضى القراء واعجاب
الشباب واثق بان الشباب سيرون فيه انفسهم وميولهم واهواءهم
وآمالهم ومثلهم العليا جليلة اشد الجلاء واضحة أنصع الوضوح واذا
كان لي ان اعنى لصديقنا ولشبابنا شيئا فهو ان يمضي الشباب
في ان يقرأوا أمثال هذا الكتاب»

حقا انها لدعوة حارة تبدو لنا لأول وهلة كأنها صادقة !!
وليس من شأننا أن نقول أن داعيها يضمم كل الخير لمؤلف
كتاب «الشخصيات البارزة» ولكنه لا يسعنا إلا أن نقول
متى رفع الغشاء الشفاف وزال التمويه المفضوح عنها نجد أنها دعوة
معكوسة موجهة ضد المؤلف الذي «يتركك وقد عانك وأضناك
وأثار في رأسك شيئا يشبه الدوار لكثرة ما دار بك في سرعة

مدهشة بين الماضي والحاضر والمستقبل « وانها لحظة حق أريد بها
الباطل إنما جبن الدكتور عن ادحاض الباطل بسلاح الحق فعمد
إلى اللف والدوران

عالجت الناحية الواحدة في الدكتور طه ودلت على
ملكه اللف والدوران المتأصلة في نفسه ، وأحاول الآن
استعراض ناحية مريضة فيه ، مؤملا أن لا يسوقني البحث إلى
استنباط أمراض أخرى ، وأن لا يتكشف هولي عن علل دفينه
في نفسه ، لأنه يخيل إلي أن وفرة النواحي وتشعبها عند بعض
كبار الأدباء ، و المكانة التي لهم عند الناس ، والعنجهية
التي لا بد تلازمهم من جراء هذه الخطوة العامة ، وأن سكوت
النقاد عن تقدم وإظهار الخلل والنقص في ما يكتبون ويؤلفون ،
تجعلهم — على غير وعي منهم — يتعهدون ضعفهم بالغذاء والتنمية
بدلا من معالجته ومداواته ، وهكذا يصبح الضعف ملازما وملازما
أعمالهم الأدبية كلها ، وقل ما نجد فيهم ناحية سليمة صحيحة ،
والدكتور طه واحد من كبار هؤلاء المرضى ، محكوم عليه
بسبب « حالته الخاصة » أن يبقى مريضا مدى العمر ، وأن يقعد
ويعجز عن تطيب نفسه ، لعلمه بأن علوم الطب أقت أسلحتها

صاغرة مستسلمة الى احكام الطبيعة في خلقها علل نفسية لا تبرأ
ولا يرجى لها شفاء!!

كان في استطاعة الاستاذ الدكتور طه الذكي اللبيب ان
يلطف من حدة مرضية ويسكن نوباته بالانطواء على النفس ،
ولكن اعوانه ووسطه وانصاره — وهؤلاء يلونون شخصيته
وطابعه بلون خاص — يلزمونه يجعل عقد مرضه المعروفة
«بمركب النقص» دائمة الاهتياج كثيرة الانفعالات ، عديدة
الخوافز الى التعويم والتخليق والاحاطة والشمول ، ملحة الشهوة
في البروز بتاج السلطان الجبار ، وعصا القائد الظافر ، مكتنفة
بطائفة من المريدين والانصار والاعوان والتلاميذ ، وتراها ايضا
بفعل النكسة — متخاذلة القوى واهنة المزينة ، تفزع من الحقيقة
فتفر منها ، وتضطرب من المجادل في الحق فتهرب
منه ، وهكذا تراها ، إما في الطرف الاقصى تتعسف
وتتعنجه وتتجبر ، وإما في الطرف الادنى تخمد وتستكين ،
لاحظنا الحالتين عند الدكتور طه ، مرة في تشككه وقد ابي
الصمود الى النهاية على إقرار التشكك كما فعل ويفعل العلماء
الراسخون ، ومرة في كتابة مقدمات الكتب ونقد مؤلفات
الادباء المعاصرين ، وقد ابي إلا الامعان في التغطرس والايغال في
المغالاة ليرضى نفسه ، لا ليستجيب الحق والنزاهة والعدل فيما يقول

كتب الدكتور طه مقدمة لقصة « فاوست » التي نقلها الى العربية الدكتور محمد عوض محمد قسمها الى ثلاثة اقسام تكلم في القسم الاول عن الدكتور عوض وكيف عرفه « هادي النفس ، صافي الضمير ، كريم الخلق ، عذب الحديث » « وكان يلد لي ان اسمع له فأفهم ، كما كان يعجبني ان اتحدث اليه فيفهم مني وكنت اقدر ان بينه وبينني صلة خاصة تقرب المسافة بيننا او تمحوها ، ولم تكن هذه الصلة بالطبع تنشأ عن المادة التي اختص بها وبرع فيها ، فقد كان يقال انه وصاف للارض ماهر في الوصف ، متوم للبلدان بارع في التقويم فلم يكن غريبا ان ابحت عن هذه الصلة التي كانت تقرب بيني وبين الاستاذ عوض ، حتى قال لي قائل (كذا) انه يحب الادب ويشغف به . . . وقال لي قائل بعد ذلك (كذا) انه يحب اللغات وانه لا يحب منها الا خلاصتها العلمية والفنية والادبية ولا يعنيه ان يتكلمها انما يعنيه ان يفهمها وينفذ الى لبها الخالص عندئذ « تد كرت جوته » فقد كان هذا الشاعر على المانيته مسرفا في الطموح الى ما لا يعلم ، يحسن لغات اجنبية ويلم بلغات اخرى ويحاول ان ينفذ الى لباب هذه اللغات وآثارها الفنية والادبية ، لا تصرفه اللغات الجديدة عن اللغات القديمة ولا تلهيه لغات الغرب عن لغات الشرق ولم تكن اللغات وآدابها لتلهي جوته عن العلم والجد في تحصيله والامعان فيه »

عاد صاحب الدكتور طه الذي ألف الهمس في أذنه
ونقل احاديث الأدباء اليه وقال له مرة اخرى أنت صديقنا
عوض « يحب جوته ويقف عليه كثيرا من وقته ، وانه ترجم
« فوست » او يترجمه عن اللغة الالمانية لاعتن لغة أخرى » تنبه
ذهن الدكتور وامتلاّت أذناه من ناقل الاخبار - أخبار عوض
محمد طبعاً - التي كان يجهلها ولا يعرف عنها شيئاً ولم يكن يدرك
طرفاً منها مدة عشرته له، وكانت طويلة بالطبع، عندها قال وعندها
فقط قال « هنالك عنيت بالتودد الى هذا الجغرافي الغريب »
وانتهزت كل ما أتيح لي من فرصة لأتحدث اليه فأطيل الحديث
(كذا) ولم أزل به حتى قال لي بأنه يترجم « فوست » وأنه
مضى في هذه الترجمة الى امد بعيد ، وهنا اخذ الدكتور طه يتكلم
عن الترجمة ويقدر أن ستكون صحيحة دقيقة متقنة ويزعم
لصاحبه الدكتور عوض أن نفسه تلونت بلون جوته وأنه لبس
نفس جوته وأنه صار يحس إحساس جوته ويرى الاشياء كما
يراهها جوته وان حياته العادية اصطبغت بصبغة حياة جوته !
فهذه التكهّنات التي تكهن بها والتقديرات التي قدرها لصاحبه
والنتائج التي استخلصها من حياة رجل وقف حياته على علم
الجغرافيا واستطاع مع ذلك ان يعنى بالادب ويأخذ منه بحظ
موفور ، أثارت عنده عاطفة الاكبار والاعجاب - التي لم يثرها

علم الطب عند الشاعر الدكتور ابراهيم ناجي ولا علم الهندسة عند الشاعر علي محمود طه — « وطلب اليه في شيء كثير من الاخلاص والمودة الصادقة أن يدع اليه تقديم ترجمته الى جمهور القراء من أهل العربية ، فقبل مبتسماً وأحسبه كان راضياً وأحسب ان هذا الرضا لم يخل من الاغتراب (كذا)

هنا انتهى الفصل الاول من المقدمة وقد ارانا فيها الدكتور طه انه ما كان يعرف عن صاحبه عوض الا أنه هادئ النفس صافي الضمير ، كريم الخلق وصاف للارض مقوم للبلدان ، وانه لما همس هامس من حواريه في اذنه بان صاحبه يحب الادب ويشغف به ويعكف عليه وانه يحب اللغات الغربية « ويستظهر النصوص العربية القديمة الغليظة » عرف عندها فقط ان صاحبه يشبه جوته الشاعر الالماني مشابهاً تامة طبقية في كل شيء ، ثم لما عاد ذلك الحواري يقول للدكتور طه عن صديقه عوض انه يترجم « فاوست » لزمه الوحي وأخذ يتكهن مرتجلاً بان الترجمة سوف تكون صحيحة وقدر لها الدقة لأن روح جوته تقمصت جسد عوض وان لوعاد جوته الى العالم مرة ثانية وسأل عن فاوست لقال لعوض ما كان قاله قبل مماته عن جيرار دي نرفال أنه لا يجب أن يقرأ فاوست في الالمانية وان الترجمة الفرنسية قد حبيت اليه النظر في فاوست مرة ثانية، فلا بد اذاً من الاكبار والاعجاب ولا محيص عن

الطلب إلى الاستاذ عوض أن يدع تقديم ترجمته إلى جمهور القراء! وهنا خليق بنا أن نسأل الدكتور طه عن نوع الحديث الذي كان يدور بينه وبين صاحبه الجغرافي ، ذلك الحديث الذي أوثق الصلة بين الدكتورين هل كانت حديثاً جغرافياً، والدكتور طه يعترف بجعله لعلم تخطيط الأرض ووصفها ، وتقويم البلدان ومساحاتها ، أم كان حديثاً أدبياً والدكتور طه لم يفتن إلى أن صاحبه عوض يحب الأدب ويشغف به ويحب العلم والفن أيضاً ، وكيف ولماذا لم يستشعر بأن تمازجا بين روحي عوض وجوته وتجانسا في ميولها وتشابهاً في نفسيهما إلا حين همس الهماس في أذنه بأن في صاحبه من صفات الادب كيت وكيت فتنبه فجأة ، وهو الالهي الفطن ، إلى « أن هذا الكعك من ذاك العجين » وهنا يجدر بي أيضاً أن أسأل الدكتور طه هل ميزانه في نقد مؤلفات الأدباء قائم فقط على معايير ما يقوله حواريه له ؟ ؟

أما الفصل الثاني من المقدمة فقد وقفه الدكتور على تعريف مقام « الاستاذ » لا الاستاذية التي أخذ الناس يطلقونها اعتباراً على كل من هب ودب من طبقات الناس ، بل أستاذية الاستاذ في الجامعة الذي لا بد له عند كتابة مقدمة لأي كتاب — خصوصاً ما كان كترجمة فاوست — أن يقرأ الترجمة أولاً ثم مؤلفات جوته كلها وما كتبه النقاد عنه عندما كان

طفلاً ، وشاباً ، وشاعراً ، وفيلسوفاً ، ولا بد له أيضاً من قراءة ما كتبه الكتاب عن أسيرة جوته وعن رفاقه في صباه وعن حياته الفرامية وحياته العامة ، ويحتم عليه أيضاً قراءة ما كتبه النقاد الذين عنوا بمقطوعاته الغنائية وقصصه التمثيلية وبحوثه العلمية ، نعم لا بد للاستاذ في الجامعة المصرية أن يعلم بكل ذلك وبضروب أخرى من الدراسات عن جوته العظيم الذي « فرضت عظمته على الانسانية العاقلة الحساسة أن تحبه وتسعى اليه وتجدد في فهمه والوصول إلى دخيلة نفسه والظهور على عظمته وسر تفوقه ، وان الانسانية التي ما فرضت من درس شكسبير ولن تفرغ من دراسته سوف ان تفرغ من دراسة جوته ولن تقول فيه كلمتها الاخيرة » لذلك لا يحيص للدكتور طه حسين عميد كلية الآداب في الجامعة المصرية من تلاوة كل هذه الكتب والدراسات « حتى لا يتورط في هذا الجهل المنكر الذي يتورط فيه من لا يقرأون ولا يتخرجون مع ذلك من الكتابة والاسراف في الكتابة عما يعلمون عن جوته وما لا يعلمون » لذلك أيضاً وأيضاً لا بد له من كل هذه المطالعات ولا يحيص عن هذه الدراسات ليكتب مقدمة لترجمة كتاب !!! نعم لا بد له أيضاً من استمهال الاستاذ عوض الاسابيع والشهور « ثم يشاء الله في يوم من الايام أن يتم لصاحبي النصر

وأن يقدم ترجمته إلى المطبعة ، وأن تهباً هذه الترجمة لتلقى إلى
الناس ، وأن يستعجني صاحبي ما وعدت في الشتاء فاذا أنا غريق
في الفززدق وجرير ثم يأتي الربيع فاذا أنا غريق في الاخل وذي
الرمة ثم في الصيف فاذا أنا غريق في أعمال أخرى وصاحبي
ينتظر ، وأنا أعتذر ، وهو يلح في رفق وأنا أعمل في دعة «
وهكذا ينقضي فصل من السنة تلو فصل ، وينصرم الحول ويأتي
الثاني والاستاذ طه « يختلس ساعات يقرأ فيها بعض ما كتب
الناس عن جوته !! فاذا سألنا عن معنى هذه « الحنشطة » في
الادعاء العريض الطويل الذي لا مبرر له البتة مادام الغرض معرفة
ماذا كانت ترجمة الاستاذ عوض لقصة فوست صحيحة أو غير
صحيحة ، دقيقة متقنة أو غير دقيقة متقنة ، وعمّا اذا كانت
اتصل اتصالاً حسناً بروح المؤلف أم لا ، هذا كل ما هو
مفروضة معرفته أما سواه من الكلام عن جوته وحياته ومؤلفاته
وشعره وقصصه وعمّا قاله النقاد فيه فلا صلة له مطلقاً في موضوع المقدمة ،
إنما له دلالة واحدة على مرض العقد النفسية عند الدكتور طه
التي لا ترتاح من نوباتها ولا تطمئن من غليانها إلا بفرص
سلطة « الاستاذية » على الناس فرضاً ، وبسط سلطان القوة العكسية
عند الضعيف على الادباء بسطاً ، وتجرع الناس معرفة تستفيض من
الدكتور صاحب الحالة الخاصة تجريباً ، وذلك ان لم يكن مستطاعاً

في منبر الجامعة وفي حلقات الصحف والمجلات فإيكن مستطاعا
في المؤلفات الخاصة وفي كتابة مقدمات الكتب

لست ارجي الى انتقاص الأستاذية عند الدكتور طه لأنها غير
منازع فيها ، ولا التقليل من قيمتها لأنها محترمة في ذاتها ، ولا
موازنتها بسواها عند فطاحل الغربيين فذلك بعيد عن غرضنا ، إنما
رمت الى اظهار ناحية الضعف المستحب عنده ، إذ لولا هذا
الضعف البادي فيه لما لمخنا البوارق التي تستفيض بها نفسه بعض
الاحايين ، ولا لمسنا اجتهاده في التحويم والتحليق والأحاطة بكل
شيء ، ولا سمعنا ورأينا رعوده وبروقه ولا أعجبنا بهجاج غضبه
وقتما تعرضت ناحية من نواحيه الخاصة للمساس ولا ضحكنا حينما
اخذ يضحك هو من رجل حاول الاعتداء على مصلحة من
مصالحه التي لا شأن للناس بها

أما في الفصل الثالث من المقدمة فقد أتى الدكتور طه عجبا وذلك
في انحرافه عن المترجم وانصرافه عنه واتجاهه صوب المترجم له
واطلاق قلمه ولسانه في التحدث عن حياة جوته وعن تاريخ
مولده وسنة موته وعدد الاعوام والايام التي عاشها وإحصاء
الخليلات اللواتي عاشهن والاسترسال في الكلام عن
فوست وعن هذه القصة التي ترجمت الى اللغات الاوروبية
كلها وقد فسرت وشرحت في أنحاء مختلفة وقد مثلت على

الملاعب وغنيت في دور السينما ولحنها كبار الموسيقيين في أوروبا الى آخر ما هنالك من التبسط والترسل في الكلام عن الامور التي لها علاقة بحياة جوته فيكأن الكلام عن المؤلف جوته فرض لا مهرب منه وسنة واجبة وكأنه هو المطالب بهذا البيان والتوضيح وليس المترجم نفسه هو المطالب به ، وكأن الضرورات تلزم المقدم ان يتكلم عن المترجم له ويهمل المترجم نفسه !!

كأني بالداكتور طه قد فطن الى تقصيره في حق صديقه الداكتور عوض وإجحاف فضله وانتقاص قدره ، أو قل اذا تمت أنه عوتب على التقصير والاحجاف والانتقاص فراح (وقما كتب مقدمة لكتاب « هرمن ودوريتته » الذي ترجمه الداكتور عوض لجوته) يستكمل ما كأن بدأه في مقدمة فاوست ويرتق ما كان خرقه فيها ، فقد تكلم في هذه المرة عن الداكتور عوض المترجم كلاما طيبا لا أجد بدأ من نشره برمته لأبرهن على أن الداكتور طه في حاجة ماسة الى من يقول له دائما إفعل كذا وكذا واكتب كيت وكيت ، والى من يقرر له الصفات والمزايا والملكات عند الادباء ويحدد له قيمها

نعم انه لفي حاجة ماسة الى ذلك لان ملكة التخيل مريضة عنده ، ولأن الميعة الخاطفة والادراك اللامع هما عنده في حكم المريضة ولانه عاجز عن الخروج عن المألوف العادي الى ميادين

الغرابة والابتكار والتوليد، ولأن ميزته الوحيدة هي أن يصور لك وقائعه الخاصة تصويراً بارعاً بعيداً عن العمل جامعا لاكثر عناصر البساطة والسهولة والانسجام . من هنا تلمح الفوارق الصارخة بين الاعمال الناقصة المتبورة التي يستوحىها من محيطه ومن اعوانه فيضطر الى العودة اليها لاتمامها حينما يوعز اليه بذلك ، وبين الاعمال التي يستلهم نفسه فيها فأنها تأتي تامة او قريبة من التمام . قال الدكتور طه في صديقه الدكتور هوض مانصه « هل يستطيع الشرقيون ان يشكروا لهؤلاء الادباء الذين يترجمون لهم آيات الادب والفن والفلسفة فيتيحون لهم من النعمة ما أتيح للامم التي نبغ فيها عظماء الرجال وينسون أنفسهم ويمحون شخصياتهم ويقنعون بمكان المترجم الذي ليس هو بالقاريء المستريح ولا المترجم النابغة ، ولكنه صلة بين الرجلين لاحظ له من راحة الاول ولا حظ له من مجد الثاني وانما هو خادم مخلص مؤثر أمين يرفع القاريء الى حيث يذوق جمال الفن وجلاله ويشق لآثار النابئين من الادباء والفلاسفة طرقا جديدة الى عقول الناس وقلوبهم ويتيح لهم سلطانه الخير على مختلف البيئات والاجيال »

كأني بالدكتور طه حسين استكثرت الكلام الطيب على صديقه الدكتور عوض المترجم الامين وكأني به شعر بعقرب

الغيرة يأسعه في الوريد فانطوى على عجل على نفسه وشرع يقول
للقراء كلاماً ، لأقول الادعاء بهينه ولا الغرور الجسم ، انما أنقله
بنصه وفصه وعججه وبجره ليقولوا بعدها ماشاءوا فيه ويصنوه بما
هو خليق به قال :

« لقد كنت وما زلت أشعر وأنا أقدم هذا الشاعر
الفيلسوف العظيم (جوته) الى أهل الشرق اني أستقبله في
داري وأقدم له من ألوان التضييف والاكرام ما أقدر عليه وما
هو أهل لأضعافه ، وأي شرف أحسن في النفس وقعا وأدعى
الى الفخر والكبرياء من استقبال هذا الرجل العظيم وتقديمه إلى
الشرقيين بل تقديم الشرقيين اليه ولا سيما بعد أن مضت الاعوام
بشخصيته الفردية والوطنية وجعلته رجلاً انسانياً عالمياً فوق الفرد
وفوق الامة الالمانية التي انجبتته ، وفوق العصر الذي عاش فيه بل فوق
العصور جميعاً ، ويزيد هذه العاطفة في نفسي قوة وبها استثاراً اني لم
أكد أقدم جوته الى الشرقيين حتى أحبوه وأقبلوا عليه يقرأونه
ويدرسونه ويتلمسون عنده غذاء العقل والعاطفة والشعور (كذا)
فلم تكذب تظهر آلام فوتر وتذيع في الناس حتى أساغوها
واستعذبوها وطلبوا المزيد من آثار هذا الرجل العظيم فظهرت
لهم قصة فاوست فاذا هم يجدون فيها مزاجاً قيمياً بديعاً من الادب
الرائع والفن الرفيع والفلسفة العليا ، واذا هم يقرأون ويدرسون

ويستزيدون واذا صديقي عوض يلبي هذا الدعاء ويستجيب هذا النداء فيترجم لهم هذه الآية التي أقدمها الى القراء اليوم وهي قصة « هرمن ودروتيه » !

حسب الدكتور طه فخرأً وكبرياء أن يقدم جوته الى قراء العربية في الشرق ولكن ، أنى له أن يدعي أن الشرقيين لم يكونوا يعرفوا جوته الا بعد ما قدمه هو إليهم ؟ هل كانت طوائف الادباء في الشرق تجهل وجود جوته حتى جاء طه يكتشفه لهم ؟ لنفرض أن لم يتقدم أحد على الاستاذين احمد الزيات ومحمد عوض محمد في ترجمة آلام فرتر وفاوست وهرمن لجوته فهل هذا يعني أن مؤلفات جوته هي فاوست وفرتر وهرمن فقط وأن الترجمات لغير هاته القصص لا قيمة لها ولا وزن ، أو أن معرفة جوته لا تقوم إلا على التعرف على هذه القصص بعينها لان الذي عربها هو الزيات وعوض وأن الذي قدمهما الى القراء هو الدكتور طه حسين ؟ في المجلات التي تصدر في مصر والشام وأميركا والافطار العربية دروس قيمة وترجمات بارعة لكثير من اعمال جوته الشعرية وغيرها سبقت ترجمات عوض والزيات ، فهل تلك لا تكفي لتعريف قراء العربية الى جوته ، أو أن عناصر التعريف لم تكن متوفرة فيها حتى بعث الله طه ، طه حسين الى الشرق يعرف جوته الى قراء العربية في كتابة مقدمات لثلاثة كتب او أكثر؟

حسب الدكتور طه فخرًا وكبرياء ان يكتب مقدمة لترجمة
فاوست وفرتز وهرمن ولسكننا لا نقره ، وقد لا يجد رجلا واحدا
يقره على أن جوته كان نكرة أو مجهولا عند قراء العربية وانه
لم ينقلب علما من أعلام الادب والفلسفة ويصبح معروفا عندهم الا
بعد ما قدمه طه حسين اليهم ، ويسمح لي الدكتور طه ان أهمل
في أذنه انه لا يوجد خمسة من مئة قارئ يقرأون مقدمات
الكتب مهما كان كاتبها عظيما وأن الذين يقرأون المقدمات هم
خاصة الخاصة من الادباء لا القراء ، وأنه إذا كان هناك فضل في
انتشار فوست وفرتز وهرمن عند قراء العربية ممن لا يحسنون قراءة
اللغات الغربية فأنما هو فضل خاص بالترجمين ووقف عليهما
وحدهما . ولانظر الآن من هو الدكتور عوض محمد وما هي
مكانته في الادب

لا حرج على القارئ اذا صور له خياله صورة وضاعة بارعة عن
شخصية الدكتور محمد عوض محمد . الذي يجمع بين العلم
والادب ، لان الصفات التي أسبغها الدكتور طه عليه
والاطياف والظلال التي وجهها اليه تهيء الذهن الى تخيل احسن
الصور وابهاها وأسمى الشخصيات واعظمها ، فانظر الآن فما قاله
الدكتور في صاحبه هل هو محض ثناء ومدح أو جبهتها الاثرة
التي تدفعها مظان التعظيم الى توهم العظمة في كل عمل من أعمالها ،

أو ان الرجل عريق حقا في الادب وقد اكتشف الدكتور
هذه العراقة فيه فأخذ يدلل عليها ويدعو الناس اليها ؟ ؟
لعل أوجب ما يجب فعنه إنصافا للرجل وتحقيقاً لعناصر
النزاهة في أحكام الدكتور طه ، هو أن تقتطف قطعة من قصة
ألفها الدكتور محمد عوض — تأليفاً لا تعريفاً — فهي وحدها
تدلنا على اتجاهه الروحي ، وخياله الشعري وتبين لنا أنواع معادن
أدبه ومعاييرها الصحيحة

قال الدكتور عوض في أقصوصته «الشريد» يصف بقعة في
إفريقية الجنوبية « زنجيه هذه الادغال والاحراج ، يسكنها وحش
زنجي ، وطير زنجي ، واقوام من الزنج . . زنجية هذه الجبال
الجرداء التي تبدو في الافق الشرقي ومن فوقها تطل على القوم
كل صباح شمس زنجيه السحنة والملاحم والتقاطيع » نعم شمس
زنجية السحنة والملاحم والتقاطيع هكذا يقول الدكتور عوض !
افهم النوع الرمزي في الشعر وأعرف الكناية والمجاز
والتشبيه والجناس والتطويز والتوشية والترخيم والاستعارة الى
نهاية ما هنالك من ضروب الخلدقه في أبواب الشعر لتسمية
الأشياء بغير اسمائها ، وأعرف أن في بعضها حلاوة مستملحة
مستساغة ، وفي بعضها الآخر ما هو غير مستلح ولا مستحب
ولا مستساغ ، انما الشيء الذي لا أفهمه ، ولا أعرفه ، ولا قرأته في

كتاب لكتاب شرقي او غربي هو اطلال « شمس زنجية السحنة
والملاح والتقاطيع صباح كل يوم على أقوام من الزنج ا
أقسم اني رأيت طلوع الشمس في كافة نواحي القطر المصري
وفي فصول السنة الأربعة ، ورأيت طلوعها وغروبها في ناحيات
عدة من نواحي سورية وأوربا وتركيا وجزر البحر الأبيض وسواحل
البحر الأحمر ، ولم الحظ قط تغيراً في « سحنتها وملاحها
وتقاطيعها » فهل لاحظت ايها القارئ ، اني كنت وفي اية بقعة
من بقاع العالم نزلت شيئاً من هذا التبدل في ملاح الشمس ، أو
تلك ظاهرة جديدة في الشمس لم يلاحظها أحد سوى العالم
الاديب الدكتور محمد عوض محمد ؟ أو براعة في الاستكشاف
والفتح في الادب الحديث في تصوير الشمس صوراً تنطبق على
الانواع والاجناس والالوان البشرية فيقال مثلاً ، شمس آرية او
سامية ، أو غالية ، أو يقال انها شمس صفراء ، او حمراء ، أو
بيضاء او سمرء نسبة لشعوب الصين والاميركان والاوربيين
وقطان سواحل البحر الأبيض ؟ ؟

اللهم أشهد أن الادب لم يبلغ على أيدي الادباء المراتب
التي أبلغها اليه الادباء الجغرافيون أمثال صاحبنا الدكتور عوض
الذين توفروا على وصف البلدان والذي توصلوا بقوة عقولهم
الرياضي وخيالهم الحسابي وحسبهم الجيولوجي الى خلق وأبداع

وابراز صور الشمس فيها سحن وملاحح وتقاطع وابتسامات
وايماءات القوم الذين تطلع عليهم صباح كل يوم

هذا هو الدكتور محمد عوض محمد ، كما تدل عليه هذه
القطعة الادبية التي اقتطعها من فؤاده واعتصرها من ذهنه تبين
لنا بوضوح معيار النزاهة والصدق في أحكام الدكتور طه حسين ،
وبراعته فائقة الحد في فهم الناس وفي وصفهم

قلت أن الدكتور طه استكثر المديح الذي أفاضه على
صديقه الدكتور عوض ونحشي أن يتجسم وقعه في نفس
القاري ، فيساوي اعتباراً ، في احترام الدكتورين وينزاهما منزلة
واحدة من التكريم والتقدير ، أفزعه هذا الوهم الطاريء
فعاد في التو إلى نفسه يتكلم عنها ، وإلى قارئه يلقحه بمعلومات
جديدة تزيل ما قد علق في ذهنه من كلام أفرط في قوله في
صديقه مترجم هرمن ، وقد دلنا طه في عمارة هذا على ظاهرة
خاتمية حديثة هي إحدى فواصل العقد النفسية التي كنت أتوهم
أنها تجعل صاحبها دائم الاهتمام ، كثير الانفعال ، سريع
التوثب والانتفاض ، وما كنت أظن أنها تكون لصاحبها مصدر
غبطة وحبور ورضى وابتهاج ، وأنها تارجح النفس بين التقيضين
وتدفع بها من الطرف الأدنى إلى الطرف الأقصى دفعة واحدة
ولا تتركها تستقر ، ولو مرة واحدة ، في وسط متوازن ، كما

هو الحال عند صاحبنا الدكتور . فاننظر كيف يكون بل كيف كان ذلك قال الدكتور طه

« اكتب هذا الفصل وفي نفسي عاطفتان قويتان تبعثان فيها السرور والغبطة وتملاها بالرضى والابتهاج : احداها عاطفة الاثره التي يفتتها الناس عادة ويندها فلاسفة الأخلاق دائما والتي لا أتمرج أن أقبليها الآن واستغذب الشعور بها لحظات قصارا لأنني انسان أجد ما يجده الناس من هذه العواطف التي تنشأ عن الضعف (الضعف) فتملا النفس غرورا وتبعث فيها الحاجة الى الفخر ، ومالي لأستغذب هذا الضعف ولا أستاذ الحاجة الى الفخر وليس من الأشياء اليسيرة ولا القليلة الخطر ان يختصك الله بهذه النعمة . . الخ »

فالدكتور لا يتخرج في الشعور بماطفة الاثره المنبعثة عن الضعف، وان ذمها فلاسفة الاخلاق ، لانها تولد السرور والغبطة وتملا النفس بالرضى والابتهاج والغرور ، فهذا الاعتراف الوجداني يفسر لنا حالته الفسيولوجية من ناحية ويفسر من ناحية أخرى تأرجح نفسه بين النقيضين واندفاعها تارة إلى الطرف الأدنى وطورا إلى الطرف الأقصى ويدلنا على ان كل أديب تواتيه الاقدار المرضية أو تلقى به الظروف العمياء بين يدي الدكتور طه الناقد فانه يكون حتما واحدا من اثنين ، إما نابغة متقد الذهن ،

مشبوب الروح ، مرهف الحس ، لامع البصيرة ، هادي النفس ،
رضي الخلق ، أصيلاً في الفن كفوزي العلوف ومحمد عوض و اسجد
الزيات وتوفيق الحكيم وغيرهم وأما أن يكون على تقيض تلك
الصفات أمثال إيليا أبي ماضي وإبراهيم ناجي وفؤاد صروف
وإبراهيم المصري والآنسة مي وغيرهم ، وإذا حاولنا التعرف إلى
أدباء لا يكونون من طراز فوزي العلوف وإقرانه ، ولا من نسق
إبراهيم ناجي وانداده فاننا نكون كمن يحاول تحقيق
المحال أو يفتش على الظهر في الساعة الرابعة عشرة ! وإذا بحثنا
عن بواعث هذا التناقض فاننا عبثاً نبحث عنها في غير نفس
الدكتور التي لا تعرف الاستقرار ولو لحظة واحدة في وسط
متوازن ، ولأن نفسه « التي تشعر بعاطفة الاثرة المنبعثة عن الضعف »
الضعف الذي يولد عند من تكون حالتهم النفسية كحالاته ،
الغبطة والسرور والرضى والابتهاج والغرور ، ومن حقه ان لا يتخرج
في هذا الاعتراف ، بل من حقه ان يغتبط به ويفخر ويفترو ويتجاهى ،
ليس من دواعي الغبطة والفخار والغرور ان يدلف الى الدكتور
طه رجل كالمؤرخ عيسى اسكندر العلوف ، العضو في المجامع اللغوية
في دمشق وبيروت والقاهرة ، والاختصاصي في علم آثار لبنان وانساب
قطانه ، يحمل في يده ديوان ولده فوزي الذي طبيعته الجالية السورية
في اميركا الجنوبية أجمل واحسن طباعة ، وفي عينيه دموع ، وفي

صدره زفرات، وفي قلبه حرقه على فقد ولده الشاعر وهو في شرح الشباب وميعة الصبا، أقول أليس من دواعي الفخر والغرور والغبطة والرضى ان يدلف مثل هذا الرجل، الذي لا بد ان يكون له شأن في البلاد الشامية، الى الدكتور طه يقدم له الديوان والدموع والزفرات والحرقه هدية يرجوه ويلح في الرجاء ليقبلها منه، أليس في ذلك الدلف والاستخذاء والزلفى، اليس في جلوسه بين يديه محترما متقبضا العلاج المستحب لضعف الدكتور المستحب؟ لم لا تولد الاثرة المتولدة من الضعف فخرا وغرورا عند الضعيف وهو غير مكلف بدفع أجر عن هذا الباعث التوليدي الممثل بالهدية المغموسة بالدمع والزفرة سوى كلام قد يأخذ به البعض من الناس على علاقته ويتبرم به البعض الآخر؟ اذن لا اخرج على الدكتور من الاهابة بالناس، بل دعوة «الذين يعنون بالشعر العربي الحديث ان يدرسوا شاعرية هذا الفتى (فوزي المعلوف) درسا مفصلا دقيقا ليروا كيف نشأت وكيف تطورت وكيف انتهت بصاحبها الى هذا الخطر العظيم من الاجادة والاتقان»

ليس غرضنا معرفة ما ذا كان الدكتور طه صادقا في دعوته للشاعر فوزي المعلوف أو غير صادق، انما غرضنا أن نقول أن ناحية الضعف عنده تتأثر بالزلفى ومظاهر الاستكانة أكثر مما تتأثر بروح الاشياء وجواهرها، وأن استرضاء ناحية هذا الضعف هو

عنده المعيار الذي به يرجح كفة على كفة ويقلب قب الميزان الى هذه الناحية أو الى تلك ، ولو لم يكن ذلك حقيقة لا يلابسها ريب لما سكنا نرى تأرجحاً وتذبذباً وتطرية ثقيلة الدفع حينما حاول الكلام عن الشاعر إيليا أبي ماضي ، وأبو ماضي كما يعرفه الادباء واحد من ثلاثة شعراء هذا العصر يطوع عناصر الحياة لفنه الجميل فيجعله خالداً ببساطته وصدقته وموسيقاه ، وهو المبرز الوحيد في نوعه ، والموفور الكرامة لا يدلف الى النقاد متزائماً ولا يستجدي المدح والتعريض من أحد ، عمدته في حياته قوته وفنه وكرامته ، فالو أنه فرط بقسط زهيد من هذه الكرامة وقدم ديوانه « هدية للدكتور الجليل الاستاذ طه حسين عميد كلية الآداب في الجامعة المصرية والعبقري العظيم » لصح أن ينظر اليه كشاعر لا بأس من الاشارة الى أشعاره والدعوة الى دراستها ولا ضير في أن يقول فيه بعض ما قاله في فوزي المعلوف الذي لقي ربه ولم يبق ما يخشى من سلطانه في دولة الادب التي يزعم الدكتور أنه ربا الأوحاد وخالق نهضتها وموجد عصرها الزاهر ونشوئها الحي لقد حاول الدكتور ان يقول كلمة في أبي ماضي ، ولكن نفسه الغاضبة بدون سبب ، أو غير الراضية عن هذا الشاعر المتحرر ، لم تطاوعه على القول الحق فلما أخذ يتكلم عن ديوان « الجداول » ملياً رغبة الذين رغبوا اليه الكلام فيه ، صار يتقلب قلب

المستدفيء بالشمس يوليها جوانبه ويظل بيديه عينيه اللتين لا تقويان على التطلع اليها ، يحاول أن يقول شيئاً ، ويتعمد أن لا يقول شيئاً ، ان مجال القول في هذا الشاعر المبدع لأوسع مما يتوقعه الناقد ، ولكن مجالات الانحراف عن الحق عند غير النزيه أوسع ، وطرائق التهرب والالتواء أبرح ، يقول الدكتور :
« است أدري أيرضى أصدقائنا اللبنانيون أم يفضنون إن رأيت أن أثر جبالهم الجميلة في الشاعر الذي أتحدث عنه اليوم ضعيف جدا ؟ فالذين كتبوا عنه ينبؤنا بأنه لبناني المولد ولكنه لم يبلغ الحادية عشرة حتى هبط إلى مصر فأقام فيها يدرس إلى التاسعة عشرة ثم ارتحل إلى أمريكا فأقام فيها إلى الآن ، وهؤلاء الذين كتبوا عنه يلاحظون أنه أصفى الشعراء والكتاب السوريين المهاجرين إلى أمريكا لغة ويخيل إليهم أن إقامته في مصر هي مصدر هذا الصفاء . . أما أنا فأسف لأنني مضطر إلى أن ألاحظ أن صفاء لغته هذا الذي أعجب ~~مصريا~~ وزميله طه الخيري لا يخلو من شيء كثير يفسده ويباعد بينه وبين ما ألقناه من صفاء اللغة وبقائها عند الكتاب والشعراء الذين ينشأون ويعيشون في مصر ولبنان وغيرها من بلاد الشرق العربي ، ولست أزعم ان لغة الشاعر رديئة أو منكرة ، ولكنها تقارب الرداءة أحيانا حتى توشك أن توغل فيها إيفالا ، وليكن مصدر ذلك ما يكون

والكثرة شيء واقع لا نستطيع الا ان نلاحظه ونسجله آسفين ،
ذلك ان الشاعر مجيد حتماً خصب الذهن ، نافذ البصيرة ، ذكي
القلب ، متقن الفهم لما يريد أن يقول ، موفق الى اجادة التصوير
لما يجب أن يصور ، فكان خليقا ان تواتيه مع هذه اللغاة لفة
صافية عذبة تسيه على اظهار ما في شعره من قوة وروعة وجمال
ليس الى الشك فيها سبيل » وأخذ يدل على عدم صفاء لغة الشاعر
ويبرهن على ضعفها عنده وعلى انه حاول اصلاح هذا الضعف فلم
يستطع ، وعلى أنه لما استيأس من هذا الاصلاح « لم يجد بداً من
أن يتخذ هذا الضعف مذهباً »

وقال « أن هناك بدعة يلج فيها كثير من الناس وهي ، ان
الجمال الفني في الكلام نثراً أو شعراً يأتي من المعنى وحده دون
أن يكون اللفظ أثر فيه ، وهذا كلام ان استقام لأهل المنطق فلا
يستقيم لأصحاب الادب والفن ، لأن صناعتهم بطبيعتها تريد
على أن يتخذوا اللفظ نفسه مظهراً لهذا الجمال الذي يفتنون به
ويحرصون عليه ، مهياً يكن حظ الشاعر من اجادة المعنى وتصحيحه
وتحقيقه والبعد به عن الخطأ والارتفاع به عن الاحالة ، فهو ان
يشانر باعجاب الناس بحفظ قليل أو كثير الا اذا استطاع أن يجلو
لهم هذا المعنى في اللفظ ، ان لم يكن وانما خلافاً ، فلا أقل من أن
يكون صحيحاً مستقيماً بريئاً من الفساد »

اذكر أيها القارئ ان الذي قرأ ديوان الجداول للدكتور
طه هو الشاعر علي محمود طه المهندس صاحب ديوان الملاح الثاني ،
واذكر ان جميع النقاد أجمعوا على أن هذا الشاعر يؤثر الاحتفاظ
بجمال اللغة وبهائتها وبهجتها وجزالتها على بقايا الخصائص الطبيعية
في الشعر واذكر أيضا أن الدكتور طه في حاجة ماسة الى من
يدله على الاشخاص والشخصيات ، والى من يصور له الرجال
والافكار والمشاهد ، والى



من يصب النظريات والآراء
في ذهنه صبا ، والى من
يهي له سبل الاتجاه ،
واذكر أيضا انه قلما يستطيع
الاستغناء او التحرر من
الاعلال التي يقيد الهامسون
بها ، والانفلات من الشباك
التي احاطوا بها ذهنه ،

فاذا انعتق من أسرهم ، ونجا
منهم وتطهر من نفوذهم ، فانه يعمد توا الى نفسه فينتوي عليها ،

يراجع ويحلل ويتحصص ما قيل له ، وقد يعتمد في بعض الاحايين الى تلاوة فصل من كتاب أو قصيدة من ديوان المؤلف، وعندها يتعد عن الضلال ويتقرب من الصواب ، ويباعد ما بين هوى النفس ونزاهة الضمير فيقصي الاول ويذني الثانية ، اما اذا كانت تعصف به عاصفة نفسية ، اما اذا دأبهم موعد صدور الجريدة وكان لا يحصى في نشر « حديث الارباء » في عدد « الوادي » الخاص وكان لا بد من تلبية آلة الطباعة فعندها تراه يلقي بالنزاهة والصواب والانصاف والتحقيق وبكافة مقومات الناقد الى جانب وتختلط عليه التوازع النفسية ، ويمجز عن أخذ زمامها ويخرج الأمر عن ارادته فيتصرف في النقد تصرف ملقي الكلام على عواهنه ، ولذلك تسمعه يقرر في ايليا ابي ماضي ذات الآراء والنظريات التي يدافع بها الشاعر علي محمود طه عن شعره القائم على جمال اللفظ وحده

يفطن الدكتور فجأة الى هذه الناحية من التصرف المتعسف ، ويستشعر قوة الايحاء يتلقاها عن الشاعر علي محمود طه عن غير عمد وقصد ، فيجفل ... فيهدأ برهة ... فيهاب الحساب ... فيعود الى الكاتب يملي عليه الكلام التالي :

« لست أذهب مذهب الذين يرون الجمال الشعري في اللفظ وحده ولا يحفلون بالمعنى لأنهم يتلمسون هذا الجمال في الموسيقى ،

ولأنهم يجردون الجمال في غناء الطير ، وحفيف الورق ، وهفيف
الذئب وفي خرير الجدول وهدير البحر . ولا يجردون لهذه
الاصوات كلها معنى ، لا أذهب هذا المذهب فقد يكون فيه كثير
من الحق ، ولكن فيه كثيراً من الغلو أيضاً ، ولعل الخبر أن
نذهب مذهب أوساط الناس فنقول كما يقولون ، أن الكلام يجب
أن يدل على شيء وإلا كان لغوا ، ويجب أن يكون صحيحاً
مستقماً وإلا كان ثقيلاً على الاذن نايماً عن المزاج « ألت تقرني
على أن هذه الجملة معسوبة بكليتها إلى الشاعر علي محمود طه ؟

ثم نسمعه يقول « وقد يكون من العسير أن نتعلق بكثير من
الخطأ على الشاعر إيليا أبي ماضي في معانيه التي قصدتنيها في هذا
الديوان فهو مصحح للمعاني ، لا بجمل أو لا يكاد بجمل ، ولا يتورط
أو لا يكاد يتورط في هذه المعاني الفاسدة التي تتوي على العقل
وأن كنا قد نجد من ذلك شيئاً في الديوان وأنه على هذا كله
مصحح لمعانيه محقق لها لا يكاد يفسدها أو يخطيء فيها ، وابتكاره
في المعاني التي اشتمل عليها هذا الديوان قليل جداً لا يكاد يحس ،
ولكن شخصيته قوية فهو يتناول المعاني والاغراض التي سبقه اليها
الشعراء المتشائمون والمسرفون في الشك من القدماء والمحدثين
فينفخ فيها من روحه القوي ويكاد يفرض شخصيته فرضاً »

ويقول في مكان آخر وشاعرنا مع ذلك صاحب حكمة وزهد

وحرص شديد جداً على المساواة يكاد تبلغ به الاشتراكية أو ما هو
أبلغ من الاشتراكية في إلغاء الفروق بين الناس ، تستطيع أن تقرأ
قصيدته « الطين » فسترى أنه بلغ من ذلك ما لم يبلغه كثير من
الشعراء المحدثين في الشرق العربي ولكن قافيتها جافة

أرأيت ربكة تلابس ناقداً فتجسسه يتلوى ويتقلب ، يتسم
ويعبس ، يبسط ويقبض ، يعطي ويأخذ ، يهب وينزع ، يتقدم
وينكص ، يقدم ويحجم ، يصدق ينزلق فيقول الحق فيندم
فيعود إلى النقيض ؟

أرأيت التمسف والتجني والتجزم والتخليط بأجلى مظاهرها
وأوضح معانيها ؟ ألم تر ذلك في كلام الدكتور وقد أراد أن
يقول شيئاً في شاعر فحل فالتوى عليه القصد ولم تستقم له الغاية ؟
أردت من اقتباس هذا الكلام الكثير، والكثير جداً ، أن
أبرهن على أن لمحات الحقائق التي قلما تضيع في ظلمات تجنيه، وأن
البراعة في مزج التناقضات ، وعدم الثبات على الحق ، والصمود
للباطل ، تبرهن على الاضطراب وعدم الحزم في الرأي ، وتدل
أيضاً على أن صاحبها خواض شواطيء رقاقة فقط

تعهد الدكتور مصراً متجاهداً على تبريح شعر أبي ماضي
فانقلب قصده إلى ضده إذ فقال:

« إذا أردت العبث الذي لا حد له بالموسيقى الشعرية

فاقرأ قصيدة « المجنون » فسترى أنها جنون كلها « اه
أكد أصبح صيحة الابتهاج لهذا الاعتراف الذي ينقض قرارات
وآراء ونظريات الدكتور التي قالها في أبي ماضي من أسسها ،
وأكد أخذ الدكتور بتلايبيه قائلاً له صائحاً في وجهه هل من
تفوق أسمى من التمرد على تصوير الجنون بقصيدة هي جنون
كلها؟! ..

قال أحد ناقلي أعمال شكسبير « أنه كان يكتب عن الملوك
كملك وعن الشحاذين والمجانين كما لو كان شهماذاً أو مخبرناً »
ومعنى ذلك أنه كان يجيد لبس « الشخصية » التي كان يرسمها
أو يمثلها الاجادة كلها ، ويقول النقاد للمتقن تمثيل دور من الادوار
التمثيلية أنه تمكن من تقليد الشخصية واستطاع إبرازها كما هي ،
ويقال مثل ذلك للروائي الفنان وللمترجم الامين ، فلماذا نرى
البراعة في تمثيل الممثل ورواية الراوي وترجمة المترجم وتقديرها
حق قدرها ولا نرى هذه البراعة ولا نقدرها في الشاعر الذي
استطاع بقوة بيانه وسمو خياله أن يروي ويمثل حياة المجنون
بقصيدة حافلة بكافة عناصر الجنون من وزن ولفظ وموسيقى
لا تستقيم الا لمن برع في رسم حالة الجنون ولا نعرف لناظماً
بالبراعة والتفوق??

يحار الدكتور طه في شاعرية الشاعر الذي « قد » « يكون
عمداً الى ذلك عمداً ليحكي جنون المجانين » كما احتسار
وتحير في فهم رواية « نحو النور » لواضعها ابراهيم المصري ،
لقد حيرته هذه الرواية لانها قريبة الشبه من قصيدة « المجنون »
التي التبس عليه فهما ، لأن وقائعها تدور حول وصف « مرحلة من
حياة عبقرى » وبين العبقرية والجنون برزخ يحير الدكتور أية
حيرة ، « لقد حيرتني قصة الاستاذ ابراهيم المصري نحو النور حين
قرأتها ، وما زالت تحيرني الى الآن ، فأنا معجب بهذا الجهد
الثقيل الطويل الذي بذله الاستاذ في تصور هذه القصة وتصويرها ،
ولكنني أعترف (الكلام للدكتور طه) بأنني لم أفهم هذا الجهد
ولم أنته الى غايته التي قصد اليها الكاتب الاديب ، هو يحدثنا في
عنوان قصته بأنها مرحلة من حياة عبقرى ، ولكنه لا يثبت لنا
في وضوح ان بطله عبقرى حقا ، وإنما يحدثنا بأنه رجل ممتاز
مجدد شجاع على التجديد ، مدفوع اليه دفعا ، مصر عليه إصرارا
قد آمن به قوم قليلون ، فلم يكادوا يخلصون له ، وكفرت به كثرة
الناس ، ولكن عبقريته على ذلك غامضة غير بينة المدى ، ولا
واضحة الحدود ، فهو مجدد ولكن في ماذا ؟ في العلم ؟ في الادب
في الفن ؟ في السياسة ؟ في الاجتماع ؟ في كل هذا او في غير
شيء من هذا كله ؟ يحدثنا الاستاذ ابراهيم المصري عن مقالات

يكتبها هذا العبقرى ولاكنه لا يكاد يجد ثناعن موضوع هذه المقالات ، بل هو ينطق لنا هذا العبقرى بكلام كثير ولاكنه مختلط أشد الاختلاط ، فيه آراء قد أرسلت ارسالا ، واحكام قد اطلقت اطلاقا ، وقضايا هي أشبه باحاديث المحمومين ، وقد لا يكون هذا غريبا فالعبقرية طور من أطوار الحمى أو فن من فنون الجنون ولاكنها حمى نافعة وجنون مفيد .

للاكتنور طه أن يحار من وصف المرحلة الشاقة من حياة العبقرى وله أن يلاحظ بنظره الثاقب ، وحسه المرهف « حديث المحموم ، والكلام المختلط ، والاحكام المرسلات » وله أيضا أن يلمس فيها الغرابة والشذوذ وتنوع الأطوار والجنون أيضا !! من حقه وهو الرجل الموهوب الضارب بكل سهم ، الخائض كل فن ، أن تحيره حياة العبقرى ، لان العبقرية وان كانت طورا من أطوار الحمى ، أو فنا من فنون الجنون ، ولاكنها حمى نافعة وجنون مفيد انما الذي ننكره عليه ، لا الخيرة التي تلبسه في حياة العبقرى التي يعرف بوهيميتها وبداءات صاحبها ، بل ننكر عليه التذبذب والتأرجح بين العدل والظلم ، وتعمد التويه والتعمية ، وهو العارف أن العبقرية غرابة وشذوذ وخروج على المألوف بل هي الجنون المقدس ، ويعرف أيضا أن في أحاديث العباقرة حمى تتصل حرارتها بالسامعين التابيين وانهم يرسلون كلامهم ارسالا ويطلقون الآراء

اطلاقاً فتصيب كبد الحقيقة غالباً ولا تنحرف عن الصواب الا نادراً
نعم يعرف ذلك ، انما يتمدد الحيرة تمدد المصراع ليخرج
مواهبهم التي ليس له منها بعضها وليعيب عليهم تصرفاتهم التي
يتعملها فيستحيل عليه تقليدها ، اذن ليس ثمة من غضاضة ولا حرج
عليه أن ينكر على روائي وصف « مرحلة من حياة عبقرى » وصفاً
لا أقول فيه ما قيل في شكسبير أنه كان يكتب عن الملوك كملك
وعن الشحاذين والمجانين كما لو كان شحاذاً أو مجنوناً انما أقول
فيه ما قاله الدكتور نفسه في كتاب رواية « نحو النور » وهو
يعيب عليه عمله الفني كما عاب على الشاعر إيليا ابى ماخى قصيدته
« المجنون » وهي من الاعمال الفنية الرائعة حيث قال « انه
لم يثبت لنا في وضوح ان بطله عبقرى حقاً وانما يحدثنا بأنه رجل
ممتاز مجدد شجاع على التجديد ، وأنه متهوس أو كالمتهوس يخالف
المألوف » فهل الاعتراف بأن بطل الرواية رجل ممتاز مجدد
شجاع على التجديد لا يدينه من مراتب العبقرية ؟ وهل من
يخالف المألوف وهو متهوس أو كالمتهوس ويأتي اعمالاً ممتازة
في جديتها الا يكون على الاقل من العباقرة ؟
نعم أن هذا لاقرار صريح من الدكتور لولا الذبذبة
والتأرجح اللذين تعمدهما لينكر عبقرية بطل الرواية ، وان هذا
الانكار المفتعل لهو الاثبات بعينه والتوكيد الذي لا شك فيه

حقاً ان الدكتور ظريف ، وأني معجب بظارفه لأنه تظرف ،
ظريف في وقفه « حديث الاربعاء » على قصتي « شهر زاد »
لتوفيق الحكيم « ونحو النور » لابراهيم المصري ، ظريف في
جمعه في فصل واحد بين كاتبين ، زحف الاول ودب حتى توصل
الى ثم أهداب طيلسان الناقد الدكتور طه فأخذ بيده وضواه
تحت لوائه ، واحتفظ الثاني بأبائه الادبي ولكنه ما كاد يلتقي به
ويتحدث اليه حتى اقترق عنه على خلاف ، وكأن الجفاء كان
موقوفاً على اللقاء الأول ، فاذا أردت معرفة أسباب النفور من
الاول وقد أوجب على نفسه النعمة واللعنة ، ودواعي الرضى
عن الثاني ، وقد وجبت عليه الرحمة ، فسل « مركب النقص »
عند الدكتور وقد أثاره المصري بحديثه الاجش معه ، بعكس
الحكيم الذي عرف بمراوغته كيف يغذي عقدة نفس الدكتور
بالطمأنينة وجعلها تفتبط بالراحة من جراء تزلفه وتلقفه

الدوافع الاساسية إذن هي شخصيتا ابراهيم المصري وتوفيق
الحكيم وتصرفهما تصرفاً استوجب الغضب ينصب على رأس
الاول والرحمة تشمل الثاني بشملة من التكبير والتعظيم ، وأنت
ترى أن العلة ليست في أشخاص رواية « نحو النور » التي لم
يعرض لها الدكتور بكلمة واحدة من التحليل ، ولا في شخص
البطل الذي نفى عنه صفة العبقريّة نفياً تعسفياً ، إنما العلة

الحقيقية هي في نفس الدكتور التي لا تطعن ولا تخمد لها ثورة الا
بأمسين اثنين، رؤية صرعى الاقلام مجذلين، أو الشعور بقوة بطاشنة
تأخذ النفس الضعيفة المستقوية أخذ جبار عنيف

يفتعل الدكتور طه النصح والارشاد افتعالا، ويتعمل هداية
الكتاب الذين يتهجم من نبوغهم خطراً على سمعته الادبية
تعملاً، وبوده لو يطمس اية بارقة تهرق في ذهن كاتب جديد حتى
لا يحول لمعانها انظار الناس عنه، ولذلك تراه يسرف في امتداح
ما لا خوف منه عليه، ويبالغ في الاقتتات والتجني والامعان في
طعن من يتوهم مزاحمته، اسمعه الآن ينصح الاستاذين توفيق



توفيق الحكيم

الحكيم و ابراهيم
المصري، قال مخاطباً
الاول :

« أرجو أن لا يعتر
توفيق بهذا الثناء
الذي أهديه اليه
صادقاً مخلصاً أو أود
لو دفعه هذا الثناء
الى العناية بنفسه
والتكامل لما ينقصه من
الادوات، فهو في

حاجة إلى أن يكثر من قراءة الفلسفة ليقول عن علم ويفكر على هدى ، وهو في حاجة إلى ان يعنى باللغة ويتقنها ليستقيم له التعبير عما يعرض له من الخواطر والآراء»

وخاطب الثاني قائلاً « ولأدع كل هذا لأقف مع الاستاذ ابراهيم المصري وقفة كنت أود لو استطعت أن أتجنبها فهل يعلم الاستاذ أنني تجاوزت له في القصة عما يألوه المحدثون من بعض التهاون في اللغة والنحو والمزاح مع سيبويه والخليل ، ولكنني أحصيت عليه بعد هذا التجاوز نيفا وستين غلطة ليس إلى الصبر عليها من سبيل ، أكثرها يمس النحو ، والنحو الذي لا يجوز الخطأ فيه فالاستاذ ابراهيم المصري كاتب معروف يقرأه الناس ويحبونه وقد يتأثره الشباب ويجدون في تقليده ، فأني شر وأي نكر حين يقلده الشباب في هذا الخطأ الذي لا ينبغي أن يقبل من صغار التلاميذ »

أرأيت كيف يتهاون في الإشارة إلى ضعف لغة الحكيم ويدعوه برفق إلى العناية باللغة واتقانها ليستقيم له التعبير عما يعرض له من الخواطر والآراء وكيف يخاشن المصري في نسبة التهاون إليه في اللغة والنحو والمزاح مع سيبويه والخليل ؟ نعرف ضعفاً متقارباً في لغة الأديين المصري والحكيم ويمكننا أن نحصي في الطبعة الأولى لقصة « أهل الكهف » من الأغلط

أضعاف ما أحصاه الدكتور طه على المصري ، فلم التهاود مع
 الاول والتخاشن مع الثاني وكلا الكاتبين يستأهل اللوم
 والتأنيب ؟ عرض الدكتور لدرس قصتي أهل الكهف وشهر زاد
 وهو يعلم جيداً أن لجنة التأليف والترجمة والنشر تناولتهما
 بالإصلاح والتنقيح وضبط الالفاظ والأجل فلم يتجاهل هذه الحقيقة ،
 بل لم سكت عن دراسة قصة « عودة الروح » ومؤلفها الفاضل
 هو هو بعينه مؤلف القصتين الاوليين ؟ الآن حملات النقاد على
 أسلوبها السوقي ، وسخف مرماها قد اضطرت مؤلفها إلى سحبها
 من المكاتب وأيدي الباعة ، أم لوفرة ما وجد فيها من أغلاط
 صرفية ونحوية لا ينبغي أن يقبل مثلها من صغار التلاميذ ، أو لأنها
 دلت النقاد على أنها تكاد تكون مكتوبة بغير القلم الذي كتب
 أهل الكهف وشهر زاد ؟

الدكتور ظريف في تهميز صاحبه الحكيم ، ومتظرف في سحق
 صديقه المصري إلا أنه غير صادق في نصح الاثنين ، وهو ظريف
 ومتظرف معاً في تلفف الاخطاء النحوية التي يحرص على تلففها
 حرصه الاشعبي على سمعته ، وينسى لاجلها جميع معاني الجمال
 وصور الفن ، وروعة الفكر فيتغافل عنها جميعاً « ليقفش » غلطة في
 الصرف والنحو ، فأبراهيم ناجي « شاعر في حاجة الى أن يعنى
 بلفته » وأحمد الصاوي محمد الذي قدم ديوان « ما وراء النمام »

الى القراء « فان في مقدمته جملة قد اختلط أمر النحو فيها اختلاطاً غريباً » والاستاذ فكري أباطه في كتابه الضاحك الباكي « أغلاط ما أحسب أنه قصد اليها وما أظن ان الفكاهة قد اقتضتها وإنما هو هذا الخطأ الشائع الذي يحسن بالادباء أن يتجنبوه » وأن الشاعر علي محمود طه « شاعر مجيد حقاً ولكنه مازال مبتدئاً (كذا) وهو شاعر مجيد حقاً ولكنه في حاجة الى العناية باللغة وأصولها وتعرف أسرارها ودقائقها فلا ينبغي للشعراء الذين يستحقون هذا الاسم أن يكون علمهم باللغة يسيراً محدوداً » وأما محمود أبو الوفا « فالأغلاط النحوية والصرفية ، والأغلاط التي تتصل بالوزن وإقامة النظم فأكثر من أن نحصى في ديوانه »

والدكتور طه يربأ باللغة أن تتحط على يد هؤلاء الادباء الناشئين وهو يهيب مستشهداً ربه على أنه صادق في نصحه مخلص في اهابهة قائلاً « اللهم أشهد عليّ اني أنه كتابنا وشعراءنا المحدثين أو الذين يسمون انفسهم محدثين الى أنهم يعرضون اللغة العربية الى خطر لم تتعرض له منذ بدأ هذا العصر الحديث ، اللهم اشهد عليّ اني ادعوهم مخلصاً الى أن يتخذوا لهم معلمين يقومون ألسنتهم ويثقفون أقلامهم ويعصمونهم من مثل هذا الخطأ الذي لا يليق »

خدمت الآن نار الدكتور وسكن نأثره وارثوى غليله من

الادباء والشعراء المحدثين ، وقد نالوا جزاء اهمالهم أصول اللغة وقواعدها ، ولم يعرف حتى عن الاستاذ فؤاد صروف ولا عن الآنسة مي ولا عن الناشر المجتهد أميل زيدان الذي جمع للكتاب (أحسن ما كتبوا)

اغتبطت عقدة نفسه برؤية الادباء صرعى قلبه ، هذا مجتدل مطروح ، وذاك ينشج أو يبكي ، وذلك واجم مبهوت ، لقد سر وفرح بهذا الذي اراد ان يتكلم فازور ، أو الذي حاول ان يجابهه بقول الحق فتعلم او ارنج عليه الكلام ، لقد ضحك وسع شذقيه من هذا الذي طلق الادب ، او هجر الشعر او سكت سكوت سكان المغاور والكهوف

لم لا تسر نفسه وتفتبط ، ولم لا يفتر ويفاخر ، لم لا يستعذب ضعفه الفسيولوجي وهو يرى الاصحاء الابرياء يطأطئون الهامات ويسجدون له ، لم لا يشمخ بأنفه كبرياء وقد أخرس الاسنة كلها وحطم أقلام الشبان إلا لسان وقلم الدكتور زكي مبارك ألم يبلغك حديث زكي مبارك ؟ ألم تبلغك أخبار دغدغته وهددهته أياه وقوله له « اكتب هذا وأنا اعلم ان ستزجر فان مثلك لا يطفى الا حين يأمن فاذا خاف خوفناه » فانزجر وسكت في مصر فئتان من الادباء فئة قوية ينحشاها الدكتور ويتحاشي بأسها بالزلفي وبالاشادة بمحامدها حتى تسكت عن أعماله

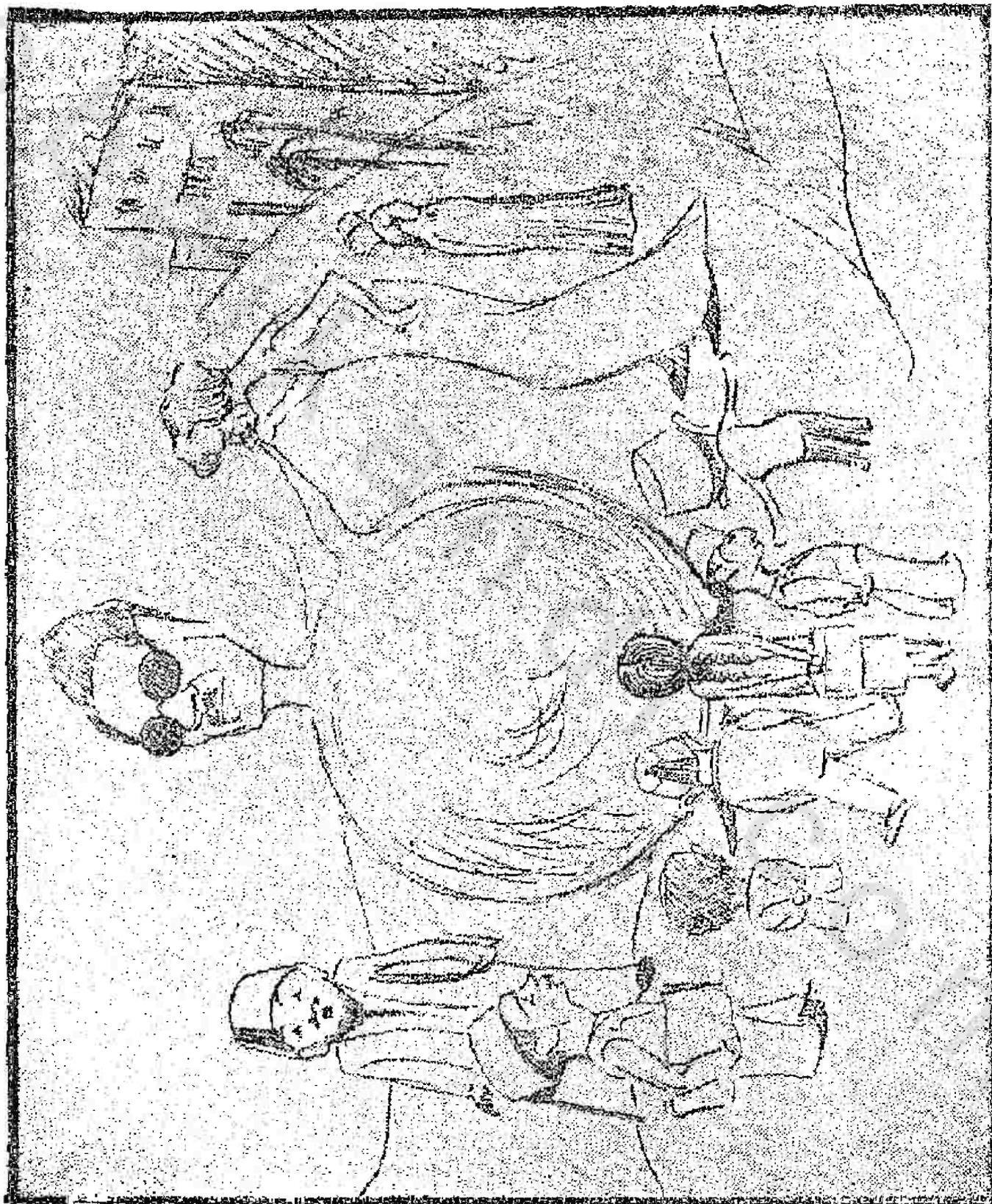
الادبية، وفئة مستضعفة مجتهدة ، إلا أنها مبعثرة الجهد، لا تجمعها غاية ، ولا تؤلف بينها وحدة أو نجاس ، ولا يربطها غرض !! ظفر الدكتور بالبعض من أفرادها فكان يبطش بهم ببطش الضعيف المستقوي، وهو يعلم في سره أنه ظلمهم، وافتيات عليهم ، وتعسف في تقدير شخصياتهم ووزن أعمالهم .

كنت أود لو أقول أن نزعة انسانية أعادت الدكتور إلى الصواب ، وحتمت عليه الاعتراف للادباء المحدثين بما لهم من جهد أدبي وشخصية أدبية ولكنه لم يفعل ، إنما أرغم على ذلك إرغاماً ، اقول أرغم إرغاماً وقد نسيت ان أقول انه انساق إلى الاعتراف بفضل جهود الادباء المحدثين انسياقاً. وان الذي أرغمه أو ساقه أو أخذ بيده اليه هو أديب عصامي متواضع يدعى «عبد المعطى المسيري» يشغل عملاً بسيطاً في مقهى بدمنهور ، هذا العصامي الذي يحيا بأدبه لوحده هو الذي أرغم عميد كلية الآداب على الاعتراف « بأنه مؤمن بأن ما ينتجه الشباب اليوم خير مما كنا ننتجه في أول القرن، وأن أدباءنا رجال يستحقون النقد » يجدر بي قبل اختتام هذا الفصل الذي أقرر فيه أن أنانية الدكتور طه بزت التعاليم المكيفالية كلها ، وبرزت على جشع طائفة معروفة من السياسيين الوصوليين نكبت مصر بهم بضع أعوام . وأن مركب النقص فيه يدفعه إلى الجور والتجريم والتعجني

على الادباء المحدثين كما يدفع به إلى الانتفاض من الادباء الاقوياء
والانكماش ممن يجابهونه بالقول الحق ، وأن عقدة نفسه تسر
وتغتنب باستشعار الناس يدلون اليه وهو الضعيف ، وينطرحون
على أقدامه وهم الاقوياء الاصحاء! وخلق بي أيضاً قبل ان أقتبس
من كلامه مبرراً إلى كل ما ذهبت اليه من نقد أعماله ، وتحليل
نفسيته والتبسط في الكلام عنه ، أن لا أقول له ما قاله الدكتور
زكي مبارك في حفل من أساتذة الجامعة وقد احتفلوا بعودة
الدكتور طه إليها : كنا أصدقاء ولم نجد ما يجرح هذه الصداقة
الامقالي الذي كتبته عنه ، والمقال اعترف بان فيه شيئاً من
الشطط ولكني لا أعتذر عنه لانه من بعض ما علمني . « وهو
القائل » أن مقياس ما ينبغي للشباب من الاستعداد الحسن ، والانتاج
القيم ، هو ثباتهم لهذا النقد ، وصبرهم عليه . وانتفاعهم به «
وهو القائل « لا تظن ان عمل الناقد يجب أن يكون البناء
دائماً ، فقد يكون من الخير أن تهدم بعض الابنية التي تحجب
الضوء والهواء عن ابنية أخرى هي أحق بالبقاء » وهو القائل
أيضاً « ليس على الادب بأس من النقد مما يقس ويشدد ، وإنما
الباأس كل البأس على الادب من النقد إذا هان ولان وأصبح
تقريظاً وثناء وإثارة للغرور ، وتشجيعاً للدخلاء ، والادب الذي
لا يثبت للنقد العنيف ، لا يستحق ان يكون أدباً ولا يستحق

ان يعني به احد» اه

أليس في هذا الكلام ما يبرر ما قد يتوهمة البعض تماماً مني عليه؟ أما اذا أراد البعض ان يجتهد في تخرج كلامي عن غاية النقد الادبي فحسبي أن ألفت الانظار الى قول الدكتور طه التالي، لاني متأثر حقاً به وسأبقى متأثراً به ، وآتمنى لو يبقى الناس جميعاً متأثرين لأن التأثر هو الحافز الوحيد الى بلوغ عظمة النفس ، ومجد الحياة ، واني وان كنت أكبر الدكتور طه حسين ، وأجل قدره فانما اجله واقدره لقوله هذا « ان الامر الذي احب ان يلتفت اليه الكاتب الاديب ، وغيره من المتفائلين ، هو ان الخطر حقاً ان نرضى عن انفسنا، وان نظمئن الى ما بلغنا من الرقي، وما زلت اقول ، ان الاديب الذي يستحق هذا الاسم ، والرجل الذي يستمتع بحظ من الحياة ، خليقاً أن لا يرضيا ، ولا يطمئنا ، فان الرضى والاطمئنان وسيلة الكسل وسبيل الى الخود ، ومطية إلى الغرور والعجب ، وويل لجيل تقوم حياته على الكسل والخود وعلى الغرور والعجب ، ما دمنا نبتغي المثل الاعلى »



o b e i k e n d i . c o m

فهرست

صنعة، إهداء الكتاب

المقدمة	٧
مقالة الأديب في كتابة مقدمات الكتب	١٢
الدكتور ابراهيم ناجي	١٥
ابراهيم المصري	٢٤
حسن محمود — طاهر لاشين	٣٠
مختار الوكيل — خيال العرب	٣٧
احمد الصاوي عهد	٤٤
احمد زكي ابو شادي — صالح جودت	٥١
فؤاد مرقس محمود أبو الوفا، حسن كامل الصيرفي	٥٦
عبد الله عفيفي، محمد مصطفى الماحي	٦٣
لغة أدباء الشباب	٦٨
من هو الأديب	٧٥
دباء شباب وأدباء شيوخ: الأناقة هي، سلامة موسى	٨٨
الصحافة والأدب	٩١
فكري أباطه، توفيق حبيب	٩٤
أنطون الجميل، احمد الصاوي عهد	٩٩
طابع أدباء الشيوخ	١١٣
محمد حسين هيكل، عبد الله عنان، صبحي عجزوز	١٢٣
الدكتور طه حسين، الدكتور احمد فريد رفاعي	١٢٤

الدكتور محمد عوض محمد	١٢٩
ايليا ابوماضي ، فوزي المازوف	١٤٧
علي محمود طه	١٥٢
ابراهيم المصري	١٥٧
توفيق الحكيم	١٦١
الأدباء المحدثون	١٦٣
صورة رمزية	١٦٩

الجزء الثاني

من

أدباء معاصرون

دراسات مستفيضة لطائفة كبرى من أدباء العصر نذكر منهم
 الأساتذة عباس محمود العقاد ، خليل مطران ، ابراهيم عبد القادر
 المازني ، علي عبد الرازق ، زكي مبارك ، عبد العزيز البشري ،
 مصطفى عبد الرازق ، احمد حسن الزيات ، محمد أمين ، مصطفى
 صادق الرافعي ، فؤاد صروف ، أمين الريحاني ، مخايل نعيمة ،
 سليم رشيد اخوري ، علي ادلم ، عبد الرحمن صدقي ، شفيق
 جبري ، مصطفى الشماخي ، محمود تيمور ، بشاره الخوري ، أمين نخلة ،
 الياس أبو شيبكه ، عارف الأرنؤوط ، شكيب ارسلان وغيرهم .
 وسيصدر في أوائل شهر ديسمبر القادم